المكانة الإدارية والحضارية لديوان الإنشاء في العصر المملوكي
دراسة من خلال كتاب صُبح الأعشى للقلقشندي
(ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م) (*)

باحث ماجستير/
ماجد سالم الطنيجي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة الشارقة

تحت إشراف الدكتور
صالح محمد زكي اللهيبي
أستاذ مشارك قسم التاريخ والحضارة الإسلامية كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة الشارقة

الملخص

تناول البحث المكانة الإدارية والحضارية لديوان الإنشاء في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٢هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، من خلال الموسوعة الفريدة في عالم الكتابة والإنشاء "صُبح الأعشى في صناعة الإنشا" لصاحبها أبي العباس القلقشندي (٧٥٦ - ٨٢١هـ/ ١٣٥٥- ١٤١٨م).

وقد هدفت الدراسة إلى التعرف على سيرة القلقشندي الحياتية والعلمية، ومنهجيته العلمية في تصنيفه وتأليفه، ودور ديوان الإنشاء في التطور الاجتماعي والسياسي والعسكري للبلاد المصرية في العهد المملوكي، ومعرفة رؤساء هذا الجهاز الإداري الخطير، الذي تطلب لأداء مهامه، نوعية خاصة من الكُتاب، لديهم الصفات المعرفية والشخصية التي ينالون من خلالها الحظوة والمكانة لدى الأمراء والسلاطين.

وقد خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج والتوصيات كان من أبرزها:

-أن ديوان الإنشاء هو أهم ديوان أو مؤسسة حكومية في الجهاز الإداري المملوكي، وهو المتحدث الرسمي عن السلطان والسلطنة، وأنه لعب أدوارا جديدة - لم تكن من قبل -

(*) **مجلة المؤرخ المصرى، عدد يوليه ٢٠٢٤، العدد الخامس والستون.**

في العصر المملوكي، ويكفي القول بإنه كان جهاز المخابرات المملوكي الذي كانت تقاريره حافظة لمكتسبات الدولة المملوكية وحامية لها من المناوئين والمعارضين لفترة طويلة.

-أنه يجب تسليط الضوء من قبل الباحثين في عصر الدولة المملوكية على مخابرات الإنشاء ودورها في الذود عن مكتسبات الدولة المملوكية، والكشف بصورة تفصيلية عن أدوار ديوان الإنشاء في الحفاظ على المملكة وحمايتها، والأثار الثقافية والحضارية لرؤساء الإنشاء وكُتابه في الثقافة العربية والإسلامية.

الكلمات المفتاحية: القلقشندي – صبح الأعشى – كاتب الديوان – الإنشاء – العصر المملوكي.

The administrative & cultural status of the Office Creation in the Mamluk era A study through the book Subh Al-Asha in the creation industry by Abi Al-Abbas Al-Qalqash&i (756-821 AH / 1355-1418 AD)

Abstract

Through the unique encyclopedia in the world of writing and composition, "Ṣubḥ al-Aʿshá fī Ṣināʿat al-Inshāʾ" (*'The Dawn of the Blind' or 'Daybreak for the Night-Blind regarding the Composition of Chancery Documents'*) by its author Abū 'l-Abbās al-Qalqashandī (756-821 AH / 1355-1418 AD), the study deals with the administrative and civilized status of Dīwān al-inshāʾ (*Chancery*) in the Mamluk era (648-922 AH / 1250-1517 AD).

The study aims to identify al-Qalqashandī's life and scientific biography, his scientific methodology in classification and authorship, and the role of the Chancery in the social, political, and military development of Egypt during the Mamluk era and knowing the heads of this dangerous administrative apparatus, which required a special type of clerks, who have the epistemological and personal qualities that gain favor and prestige with the Emirs and Sultans, to perform their duties.

The study comes to several results, the most notable of which are:

The Chancery is the most important government office or institution in the Mamluk administrative apparatus, the official

spokesman for the Sultan and the Sultanate, and played new roles in the Mamluk era that had not previously existed. Suffice it to say that for a long time, the Mamluk intelligence service's reports were the preserver of the Mamluk state's gains and its protector from resisters and opponents.

The study summarizes several recommendations, the most important of which are:

That researchers in the Mamluk state era must shed light on the Chancery intelligence service and its role in defending the Mamluk state's gains, revealing in detail the roles of the Chancery in preserving and protecting the kingdom, as well as the cultural and civilizational effects of the Chancery chiefs and clerks in Arab and Islamic culture.

Keywords: al-Qalqashandī - Ṣubḥ al-Aʿshá - Authorship Methodology - Clerk - Composition - Mamluk era.

المقدمة

١- موضوع الدراسة:

التطلع عن قرب عن المكانة الإدارية والحضارية التي لعبها ديوان الإنشاء في العصر المملوكي، والمعين والمرجع في هذا؛ هو موسوعة القلقشندي "صُبح الأعشى في صناعة الأعشى"، واستهدفت الدراسة إماطة اللثام عن صاحب هذه الموسوعة، ومعرفة أسباب إنشائه لها، وكان لا بد للدراسة من مباحثة المنهجية العلمية التي اتبعها القلقشندي في موسوعته؛ حتى تطمئن الدراسة إلى ما تتوصل إليه من نتائج، وبعدما تعرفت الدراسة على منهجيته العلمية، ذهبت تبحث لها عن موضوع يكمل ما استهلته؛ فكان الموضوع دور ديوان الإنشاء وأهميته في الحياة الإدارية والاجتماعية للعصر المملوكي، وهو ما كان دافعا لمعرفة رؤساء هذا الجهاز الإداري الخطير، ولم يكن الأمر حجرا على الرؤساء دون غيرهم، فكانت آداب وشروط الالتحاق بالديوان، بالإضافة إلى الوظائف والمهام الموكولة للهيكل الإداري للديوان، موضوعًا للدراسة والتمحيص.

٢ – مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في أننا أمام موسوعة، والبحث مهما بذل من جهد ودأب، فإنه لا بد من شيء ناقص هنا أو هناك، وليس أمامنا للتغلب على تلك المعضلة، سوى بحث الخطوط العريضة والتركيز على المؤثر والفاعل، والذي بدونه يختل البحث، وتعطل النتائج، والعزاء في هذا أن الكمال غير مدرك ومحال المنال، ومهما بلغ البحث من دقة وتنميق، فإن النقص شيمته، لا لشيء إلا لأن النقص من شيم الإنسان، وما بحث من البحوث نال كُل العلم، فما هو إلا دائر في فلك الجزء والتجزؤ فقط، وهو ما يحيلنا في التوصيات إلى عرض عدد منها تسلط الضوء على جزء جديد لم تتناوله أقلام الباحثين من ذي قبل.

وبناءٌ على ذلك، فإن البحث يطرح سؤالا رئيسا عما هو الجديد الذي يمكن أن يقدم، وغاب عن الباحثين إدراكه لما يقارب الستة قرون منذ أنهى القلقشندي صناعة الإنشاء؟!!.

٣ – تساؤلات البحث:

١– ما الدور الإداري والحضاري لديوان الإنشاء زمن المماليك ؟

٢– ما أهمية دراسة ديوان الإنشاء دون غيره من الدواوين والأجهزة الإدارية للدولة؟

٣– إلى أي مدى عكست موسوعة القلقشندي؛ الأوضاع الإدارية والاجتماعية والسياسية للمجتمع المصري عبر ما يقارب القرون الثلاثة زمن حكم المماليك وسلطانهم السياسي؟

٤– ما العلوم الإدارية والتوظيفية التي سبق بها القلقشندي، عصرنا الحديث؟!

٥– ما الجديد الذي أضافته موسوعة صُبح الأعشى إلى فن الكتابة والإنشاء في العالم الإسلامي؟

٤- أهمية البحث:

١- الوقوف على الدور الإداري والحضاري لديوان الإنشاء زمن المماليك في مصر.

٢- التعرف على العديد من الجوانب الاجتماعية والحضارية في العصر المملوكي، وهي لا تقبل إلا الصواب؛ لأنها مكاتبات رسمية تصدر عن الدولة والسلطان، والكذب والتدليس لا مكان لهما هنا؛ وهذا واحدٌ من أهم الأسباب التي جعلت من الموسوعة، تنال الحظوة والمكانة في عالم الكتابة والإنشاء، وأضحت علما عليه، فما يُذكر الإنشاء إلا ويتوارد على الأذهان فورا "صُبح الأعشى".

٣- البحث عن التطوير الذي أحدثه الإنشاء في المجتمع المصري زمن المماليك.

٤- إظهار أثر العصر المملوكي على حياة المصريين من خلال وثائق الإنشاء التي أمدنا بها القلقشندي في مصنفه " صُبح الأعشى ".

٥- تزويد المكتبة العربية ببحث شامل عن ديوان الإنشاء المملوكي وأثره في المناحي الحياتية لبلاط الخلفاء، وبيوت الرعية.

٥- منهج البحث:

أ- **المنهج التاريخي:** استخدم البحث هذا المنهج، والذي تتبع تطور تاريخ مصر في العصر المملوكي؛ العصر الذي شهد تأليف "صُبح الأعشى"، وتطور الإنشاء وفعاليته.

ب- **المنهج الوصفي التحليلي**: حيث قام البحث بجمع المعلومات والبيانات عن الكتابة والإنشاء، وتقديم تحليل وافٍ لتلك البيانات؛ وهو ما يقدم لنا تفسيرا وإيضاحا لتساؤلات البحث ودوافعه عن ديوان الإنشاء وأدواره الإدارية والحضارية.

ج- **المنهج المقارن:** ويتبع هذا المنهج؛ حين استعراض تاريخ الكتابة عبر الأمم والشعوب، ومقارنة مكاتبات الإنشاء العربي بغيرها من مكاتبات بلاد فارس والروم وغيرهما.

٦ - خُطة البحث:

المبحث الأول: القلقشندي سيرته ومسيرته الفكرية

المطلب الأول: نشأته وحياته الخاصة والعلمية.

المطلب الثاني: منهجية القلقشندي في تآليفه وتصانيفه.

المبحث الثاني: دور ديوان الإنشاء في الإدارة المملوكية وسياستها

المطلب الأول: دوره في التطوير إداريًّا، وسياسيًّا، واجتماعيًّا.

المطلب الثاني: رؤساء ديوان الإنشاء وأثرهم في التطوير والنهوض.

المبحث الثالث: التكوين الوظيفي في ديوان الإنشاء في العصر المملوكي

المطلب الأول: آداب وشروط الالتحاق بديوان الإنشاء.

المطلب الثاني: المهام والوظائف والأعمال داخل ديوان الإنشاء.

المبحث الأول

القلقشندي سيرته ومسيرته الفكرية

- المطلب الأول: نشأته وحياته الخاصة والعلمية

- اسمه ونسبه:

هو أبو العباس أحمد بن عبد الله الشهاب بن الجمال أبي اليمن الفزاري القلقشندي القاهري الشافعي[١]. وعرفنا القلقشندي بنفسه في عدد من مؤلفاته، فهو عربي قُح، يعتز بانتسابه العربي من جهة أبيه إلى بني بدر إحدى بطون قبيلة فزارة العربية[٢]. وأما نسبه من جهة أمه، فإن والدته تنتمى إلى قبيلة "غمارة" من البرانس، وغمارة إحدى القبائل المغربية المعروفة، وإلى هذا النسب ذكر القلقشندي في كتابه "نهاية الأرب"، قائلا: "ومن هذه القبيلة جدنا الشيخ

عبد الله الغماري خادم سيدي أبي العباس البصير الخزرجي الأندلسي البلنسي، وهو مدفون عنده في ضريحه بقرافة مصر الصغرى، نفع الله ببركتهما" [٣].

- مولده ونشأته:

ولد أبو العباس القلقشندي (٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م) بمدينة قلقشندة المصرية، المدينة التي اشتهرت بنجابة أهلها وحبهم للعلم؛ فقد أنجبت قبل القلقشندي، الفقيه الكبير الليث بن سعد، أحد عظماء الفقه بمصر في القرن الثاني للهجرة، وكان عالما وفقيها مهابا ومسموع الكلمة، وقال عنه الشافعي: "الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به"، وقال عنه ابن وهب: ما رأينا قط أفقه من الليث" [٤].

ونشأ القلقشندي نشأة علمية موسوعية، حيث تلقى العلوم الشرعية واللغوية، جنبا إلى جنب مع علوم الجغرافيا والفلك والحساب... إلخ، وقد ذكر هذا التبحر العلمي في مؤلفه "صُبح الأعشى"؛ وذلك في معرض حديثه عن وجوب نشأة الكاتب تنشئة موسوعية، فقال: "يجب معرفة اللغة تمام المعرفة، وكما تعرف شكل الحرف ومصدره، فعليك معرفة أشكال الأَرِضين؛ فتعرف المثلث القائم الزاوية، والمثلث الحاد، والمثلث المنفرج، ومساقط الأحجار، والمربعات المختلفات، والقِسِيِّ، والمدورات، والعمودين، وتمتحن معرفته بالعمل في الأرضين لا في الدفاتر، فإن المخبر عنه ليس كالمعاين[٥].

وذكر أن الكاتب لا يعد كاتبا، ما لم يكن عالما بإجراء المياه، وحفر فُرض المشارب، وردم المهاوي، ومجاري الأيام في الزيادة والنقصان، ودوران الشمس، ومطالع النجوم، وحال القمر في استهلاله واتصاله، ووزن الموازين، وذرع المثلث والمربع واختلاف الزوايا، ونَصْب القناطر، والجسور، والدوالي، والنواعير على المياه، وحال أدوات الصُناع، ودقائق الحساب، وبديهي بعد تلك المعرفة، النظر في جُمل الفقه والحديث، ودراسة أخبار الناس، وحفظ عيون

الأخبار؛ ليدخلها في تضاعيف سطوره متمثلا بها إذا كتب، أو يصل بها كلامه إذا حاور، فإن الكاتب لا يسعه في الحقيقة الاستغناء عن علم أو الوقوف عند فن، فإن صاحب هذه الصناعة يحتاج إلى التشبث بكل فن من الفنون، فإنه في حاجة إلى معرفة ما تقوله النادبة بين النساء، والماشطة عند جَلْوة العروس، وإلى ما يقوله المنادي على سلعته في الأسواق، فما بالك بما هو فوق ذلك[٦].

وأدرك القلقشندي الارتحال؛ طلبا للعلم والعلماء في السنين الأولى من عمره، فقد غادر مسقط رأسه (قلقشندة)، وهو ابن الخامسة عشرة، حيث توجه إلى الإسكندرية؛ طلبًا للعلم على يد مشاهير العلماء في زمانه؛ مشتغلا بفنون اللغة العربية والأدب وعلوم الفقه والحديث، وكان نتاج ارتحاله وطلبه العلم، حصوله في العام ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م على إجازة الشيخ "ابن الملقن" [٧] بالفتيا والتدريس على مذهب الإمام الشافعي، وهو لم يتعد عامه الواحد والعشرين؛ مما يدل على نبوغ باكر، وكتب هذه الإجازة القاضي تاج الدين بن غنوم موقِع الحُكْم العزيزي بالإسكندرية [٨].

وكان للقلقشندي بعد حصوله على إجازات الفتيا والتدريس، موعد مع رحلة إلى القاهرة، فبعدما نال شهرة واسعة في علوم الفقه والحديث، وتدريسهما بالإسكندرية، فكان حَرِي (جدير) بالارتحال إلى القاهرة، والتي أصاب بها عددًا من المناصب المرموقة، من ذلك: منصب نائب القضاء لسنوات عدة [٩]، فقد حل نائبا للقاضي جلال الدين البلقيني بسفارة الشيخ بدر الدين محمود العيني (٨٥٥هـ / ١٤٥١م)، كما باشر مهامه في القضاء فترة من الزمن في ديوان الأحباس[١٠]، وكان يتم الاختيار من بين العلماء المشهورين القادرين على الإفتاء والإصلاح، وكان بلا شك القلقشندي أحدهم. ويأتي الحدث الكبير في حياة القلقشندي العلمية والوظيفية، حيث عُين بالقاهرة في العام (٧٩١هـ / ١٣٨٨م)، كاتبا للدرج الشريف [١١]، من قبل المقر البدري محمد بن فضل الله

العمري رئيس دواوين الإنشاء بالديار المصرية.

ويخلص الباحث من العرض السابق لسيرة القلقشندي إلى أنه يعد كاتبا ومؤلفا موسوعيا، وذلك لكثرة مؤلفاته وإنتاجه العلمي الغزير، ونظرًا لتأثيره الكبير في العلماء من بعده، وخاصة في علم الإنشاء والكتابة.

المطلب الثاني: منهجية القلقشندي في تآليفه وتصانيفه

كان للقلقشندي منهجية ثابتة في كافة مؤلفاته سواء ما تعلق بالفقه أو بالإفتاء أو بالشروح الشرعية واللغوية، وأهم ملامح تلك المنهجية:

أ- التبويب والتقسيم المنظم: حرص القلقشندي على الالتزام بالإطار العام الذي صاحب أغلب مؤلفاته؛ ليخدم فكرة الكتاب والهدف المنشود منه؛ ومن هنا التزم بالدقة البالغة في التنظيم والتبويب واضعا منهجا لا يحيد عنه، ولم يحاول الخروج عنه قط، فقد كانت كثرة وتنوع تصانيفه؛ هي الدافع الأول إلى مثل هذا المنهج، وذكر القلقشندي قائلا: " وقد كنت هممت أن أجعل ابتداءات التقاليد والتفاويض والمراسيم والتواقيع ومقاصدها المتعلقة بالوظيفة في فصل مستقل..... ثم أضربت عن ذلك وأتيت بالنسخ على صورتها لأمور: منها، أن في تضييع النسخة إفسادا لصورتها وضياع فضيلة المنشئين وإشاعة ذكرهم، ومنها أن يعرف أن الصورة التي تورد مما كتب به في الزمن السابق، وأنها مصطلح اصطلح عليه أهل الزمان..... ومنها إذا أراد مَنْ لا دُربة له بالإنشاء أخذ تحميدة من تقليد أو توقيع وغيرهما، ونقلها إلى مقصد من مقاصد الولاية، لم يُعجزه ذلك "(١٢).

ب- الحفاظ على الوحدة الموضوعية: حافظ القلقشندي إلى حد كبير وبالغ الدقة على وحدة الموضوع في كافة مؤلفاته، وبالأخص "صُبح الأعشى"، ووصل به الأمر إلى الامتناع عن إضافة معلومات مستجدة؛ تحدث خللا بالوحدة الموضوعية، وبرز هذا في مواضع عديدة، ومن ذلك عندما تحدث في

"صبح الأعشى" عن بعض الممالك الشامية التي انتزعت من أيدي الروم، فقال: "ثم انتزعت منهم باقي القلاع في سنة إحدى وسبعين، ودخلوا تحت طاعة ملوك مصر من حينئذ، وصاروا شيعةً لهم، وهذا آخر ما يحتمله الكتاب، مما يحتاج إلى معرفته"(١٣).

- **آلية الطرح والعرض:** تحقيقا لمنهجه التاريخي التحليلي، التزم بالتسلسل المنطقي في عرض المادة؛ محافظا على أهم ما يميز المنهج التاريخي التحليلي، وهو الحفاظ على وحدة الموضوع والدقة والأمانة في النقل؛ فهو دؤوب على ذكر المصادر المنقول عنها في معظم نصوصه مهما كان هذا المنقول صغيرًا أو ثانويًّا، وهو أمر غير شائع في مثل هذا العصر؛ ونتج عن ذلك أنه أمدنا بمئات من الكتب لم نكن نعرف عنها شيئا لولا ذكرها من قبل القلقشندي في مصنفاته، فكثيرا ما كان الدمج يحدث بين مصدرين دون خلل أو نشوز في عرض المادة والمعلومة (١٤).

- **سلامة اللغة وجزالة الأسلوب:** إحدى الطرق القلقشندية في تطبيق منهجه التاريخي التحليلي؛ حيث ابتعد عن الزخرفات اللغوية من سجع وجناس ومحسنات بديعية، والتي تبتعد عن جوهر الموضوع ومبتغاه، وهو ما كان متبعا في عهده لدى كُتاب الدواوين والمؤرخين، فكان السجع هو المسيطر والمهيمن على الكتابة التاريخية؛ وبالأخص تراجم الإطراء التي دونها المرؤوسون لرؤسائهم، وكان السجع هو الطريق نحو استعراض القدرات اللفظية لدى كُتاب الديوان حتى وإن ابتعد عن المقصود، وهو ما تجنبه القلقشندي، ولم نشعر بأية لفظة في غير موضعها سواء في الصُبح أو الدوح، أو غيرهما من مؤلفات(١٥).

فقد كان أسلوب القلقشندي واضحًا رصينًا، ودقيقًا في اختيار المفردات اللغوية، ولديه مقدرة وبراعة لعرضها في مهارة لفظية؛ مبتعدًا عن المحسنات اللفظية التي يصبح الكثير منها عبئا على قارئ الكتاب في استغلاق معانيها، ويحدثنا صاحبنا القلقشندي قائلا: "وأعلم أن اللحن قد فشا بين الناس والألسنة

قد تغيرت؛ حتى صار التكلم بالإعراب عيبا والنطق بالكلام الفصيح عيًّا!!... (المقصد) الحفاظ على الإعراب في القرآن الكريم والأحاديث النبوية [١٦].

وفي نهاية هذا العرض لمنهجية التأليف والتصنيف لدى القلقشندي يرى الباحث أنه كان أديبًا مجتهدًا، وصاحب منهج يرتكز على ثقافةٍ واسعةٍ في جميع ميادين العلم والأدب والفن، وهو –أيضًا– ذو أسلوب حلو الديباجة سلس اللفظ والمعنى.

كما يؤكد الباحث على أنه بالرغم من أنَّ الهدف من تأليف القلقشندي لموسوعته "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" أن تكون كتابًا جامعًا للمعارف اللازمة لكتاب ديوان الإنشاء، إلا أنَّها جاءت عملًا موسوعيًّا شاملا؛ فكان الكتاب جامعا بين التاريخ، والجغرافيا، والنظم السياسية، ونظم الإدارة، والتنظيمات المالية والاقتصادية، فضلًا عمَّا فيه من مواد ذات علاقةٍ وثيقةٍ بالأدب واللغة والخطوط.

وهكذا تبين كيف كانت موسوعة القلقشندي ذات أهمية في تاريخ الفكر العربي، ولقي صاحبها الإشادة من كل حدب وصوب، وكان محلا لتلك الإشادة ومستحقا لها، فقد اتبع منهجًا دقيقًا وأمانة علمية وأسلوبًا فصيحًا، فما ضاعت العشرون عاما التي أنفقها في تأليف الموسوعة سُدى، فقد خلد نفسه، وقدم للمكتبة العربية تحفة أدبية تتناقلها الأجيال جيلًا بعد جيل.

المبحث الثاني

دور ديوان الإنشاء في الإدارة المملوكية وسياستها

المطلب الأول: دوره في التطوير إداريًّا، وسياسيًّا، واجتماعيًّا

أدى ديوان الإنشاء دورًا خطيرًا وكبيرًا في تسيير أمور الدولة المملوكية وإدارتها، وامتدت صلاحيات صاحبه المسمَّى بصاحب الدواوين الشريفة أو كاتب السر أو كاتم السر إلى جوانب مهمة جدًّا في تصريف شؤون الحكم؛ سواء أكانت مدنية، دينية، سياسية، عسكرية، أو اقتصادية، فلم يغب على الإطلاق أهمية الديوان لدى الأمراء والسلطان؛ وكذلك التطوير الذي أحدثه ويُحدثه الديوان على مستوى الإدارة والسياسة والمجتمع المصري [١٧].

وكان منطقيا اعتماد الجهاز الإداري الضخم للمماليك في مصر على مجموعة من الدواوين الكبيرة، كديوان الإنشاء الذي لعب أدوارًا سياسية وحضارية واجتماعية واقتصادية، وكان صلاح الديوان من عدمه مقياسًا لحالة الدولة قوة وضعفا، ومن ذلك أن ديوان الخاص الذي استحدثه السلطان محمد بن قلاون (٦٩٣-٧٤١هـ /١٢٩٣ -١٣٤٠م) كان سببا في سقوط دولة المماليك لما كان عليه من خلل هيكلي وفساد إداري [١٨]، فمَنْ صَلُحَ ديوانه صَلُحَ حكمه ومآله؛ إن جاز التعبير وصح.

استطاع ديوان الإنشاء المساهمة الفاعلة في مختلف مظاهر الحياة، فكانت الخدمات البريدية سواء البرية أو الجوية، واحدة من أهم إنجازات الدولة المملوكية بمصر، والتي عملت على تنشيط الحركة التجارية تنشيطًا كبيرا؛ مما ساهم في تطوير الحياة بمناحيها الاجتماعية والاقتصادية، والذي صادف راحةً لأذهان السياسيين من أكبرهم إلى أصغرهم، فقد ساهم البريد في إقامة نظام إداري محكم الضبط والتنظيم، والذي استطاعت الدولة بواسطته إحكام السيطرة على أطراف البلاد، وتنظيم الشؤون الداخلية؛ فنشرت ولاتها وموظفيها في كافة

البلاد، وربطت بين جميع المصالح ربطًا محكمًا، وكان للدواوين دورها الحاسم في ذلك، وعلى رأس هذه الدواوين وأهمها قاطبة ديوان الإنشاء وأفرعه من البريد والتوقيع وغيرهما، فالديوان في العصر المملوكي في مصر كان خازن أسرار المملكة والخلافة [١٩].

وأشار القلقشندي إلى لعب ديوان الإنشاء أخطر أدواره قاطبة، حيث كان عضد الدولة والمدافع عنها سلما وحربا، وهو الذي يقوم بالدعاية للدولة عن طريق المكاتبات الصادرة عن الملوك والسلاطين، والعمل على سرعة الإصدار والإيراد، فإن مصر تعرضت زمن المماليك لحروب كثيرة كانت مهددة لكيان الدولة وقوامه، ومن أهمها: الحروب الصليبية، وحروب المغول، فكان دور الديوان؛ واختيار المكاتبات المحفزة للمجاهدين، ومطالعتها للسلطان؛ ليرسلها إلى جبهات الجهاد وساحات القتال، وأحدثت بالفعل التأثير المرجو، فكان الانتصار على الصليبيين والمغول معًا [٢٠].

وأدى ديوان الإنشاء دور واسطة العقد بين الدواوين، وهو ما عاون على تنظيم صادرات الدولة وواردتها، وهو ما يلقي بظلاله على النواحي الاجتماعية والاقتصادية، بل والعسكرية كذلك، فقد كان ديوان الإنشاء شريكا لديوان الجُند في توزيع الإقطاعات، حيث كان يصدر من ديوان الجيش (المثال) [٢١] للجندي المراد إقطاعه، ثم يرسل هذا المثال إلى ديوان النظر؛ لكى يتم تسجيل الإقطاع، وما يشتمل عليه من أموال، ويصدر بذلك ورقة تسمى (مربعة)؛ ترسل إلى ديوان الإنشاء؛ ليكتب بها منشورًا، ويصبح بمقتضاه الإقطاع شرعيا لصاحبه [٢٢].

ويشير القلقشندي إلى أهمية ديوان الإنشاء للملوك والحُكام، الذين يحتاجون لانتظام أمور السلطنة فى أشياء ثلاثة، ولا حديث عن تنظيم مُلك أو هيبة سلطان إلا بها:

– **الأول:** رسم ما يجب أن يُرسم لكافة العمال والمكاتبين عن السلطان ومخاطبتهم بما تقتضيه السياسة من أمر ونهي، وترغيب وترهيب، ووعد ووعيد، ومدح وقدح.

– **الثاني:** لا يمكن للسلطان استخراج الأموال من وجوهها، واستيفاء الحقوق السلطانية إلا بالكتابة وأرباب صنعتها.

– **الثالث:** إن الكتابة هي المعين الأول في توزيع استحقاقات الدولة على أعوانها وحماة حدودها وثغورها، وغير ذلك من وجوه النفقات سواء الخاصة أو العامة. ولا يغيب عن كل فطين أريب أن جُل هذه الأعمال لا يقوم بها إلا كُتاب ديوان الإنشاء لدى السلطان، فهي أشرف الصنائع وأعظم ما يعود على السلطان ودولته؛ لذا قال الجاحظ واصفا فضل الكتابة والإنشاء وأهميتهما، قائلا: "إن فضلها يظهر عندما تعلم بأنها لا توضع إلا في علية القوم وأرفعهم مقاما، كما أشار صاحب مواد البيان إلى أن الذين وضعوها وكان لهم قصب السبق في رسمها وتنظيمها هم الأنبياء عليهم السلام (٢٣).

وتابع القلقشندي؛ مبرزا دور الإنشاء في التطوير والازدهار، فقال: " من أشرف الصنائع وأرفعها، وأربح البضائع وأنفعها، وأنفع المآثر وأعلاها، وآثر الفضائل وأغلاها... ولا سيما كتابة الإنشاء التي هي سلطان الكتابة، وإنسان عينها، بل هي عين إنسانها لا تلتفت الملوك إلا إليها، ولا تعول في المهمات إلا عليها، يعظمون أصحابها ويقربون كتابها " (٢٤).

ويتضح للباحث مما سبق أن اصطلاح الديوان يشير إلى المهام الموكلة إلى الكاتب الذي يخول له القيام على حفظ حقوق الدولة في الداخل والخارج والإحصاء للعساكر وتدوين أسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم في وقتها، بحيث تكون هذه المعلومات مدونة في كتاب يسجلها يقوم به أناس مهرة مختصون بذلك.

وأن مهام الديوان قد طالها التطور الواسع في العصر المملوكي؛ إذ أصبح الكتاب والعاملون في التدوين من كبار رجال السلطان، وصاروا يتقلدون أعلى المناصب السياسية إلى جانب وظيفتهم ككتاب للدواوين. فقد كان كاتب الإنشاء بمثابة الناطق الرسمي باسم السلطان، إذ إنه كان مؤتمنا على أسرار الدولة صغيرها وكبيرها، كما أنه كان مطلعا على أدق التفاصيل في علاقة الدولة بغيرها، وكذلك علاقة السلطان بالأمراء والوزراء.

المطلب الثاني: رؤساء ديوان الإنشاء وأثرهم في التطوير والنهوض

شهد العصر المملوكي بمصر زمرة من رؤساء الديوان، ساهمت ثقافتهم وسمو علمهم، بدورٍ فاعلٍ في التطوير والنهضة المجتمعية، ومن هؤلاء:

١- الأديب ورئيس ديوان الإنشاء ابن الفضل العمري (٧٠٠-٧٤٩هـ / ١٣٠٠-١٣٤٩م):

هو أحمد بن يحيى بن فضل الله بن يحيى..... بن عمر بن الخطاب. العمري، يكنى بأبي العباس، ولقبه شهاب الدين. نشأ ابن فضل الله العمري في أسرة لها عراقة أدبية، تولى عدد من أفرادها لأكثر من قرن تقريبًا وظيفة صاحب ديوان الإنشاء. وقد ربطته تقاليد أسرته بعمل الدواوين فعمل في ديوان الإنشاء مع والده لما كان الأخير كاتب السر بدمشق في أيام سلطنة الناصر محمد الثالثة، وتقلد ابن فضل الله جملة وظائف مهمة، فشغل حينا منصب قاضٍ بمصر، وخلف أباه في رئاسة ديوان الإنشاء، وولاه السلطان الناصر وظيفة المشرف على البريد، ورئاسة ديوان الإنشاء وراثة جيل بعد آخر عبر مائة عام، وشخصية العمري شخصية فريدة فذة قلما تتكرر في التاريخ الإنساني، فقد مات في سن صغيرة، وصل فيها إلى أعلى المراتب بتوليه الوزارة وديوان الإنشاء[٢٥].

وأمد العمري المجتمع المصري والعربي والإسلامي بسلسلة من المؤلفات

دفعت الحياة الفكرية خطوات فسيحة إلى الأمام، حيث خلف العمري بالإضافة إلى موسوعته الكبيرة "مسالك الأبصار" عددا كبيرا من الكتب النفيسة التي يبلغ الواحد منها أحيانا بضعة مجلدات مثل: "فواصل السمر في فضائل آل عمر " الواقع في أربعة مجلدات، ولُقب بالعمرى لمؤلفه هذا، ومنها ما يتصل بتعليم الإنشاء الذي ترأس ديوانه، مثل كتابه "النبذة الكافية في معرفة الكتابة والقافية"، وكتبه الأدبية: "نفخة الروض"، و"يقظة الساهر"، و"الثنويات"، وهي مجموعة رسائل أدبية، وللحق، فإن العمري لم يكن إضافة إلى ديوان الإنشاء فحسب، إذ هو إضافة لعصره أجمع، فهو شخصية علمية أدبية فكرية سياسية متفردة، قصيرة العمر غزيرة الإنتاج، فكان تواجده في العصر المملوكي رفعةً من شأن العصر ومجدًا لأيامه [٢٦].

- ابن منظور (٦٣٠ -٧١١هـ/ ١٢٣٢-١٣١١م):

هو جمال الدين أبو الفضل محمد علي المصري المشهور بـ (ابن منظور)، وقد أمد الثقافة العربية بأغنى قاموس عرفته لغة الضاد؛ حيث ضم ثمانين ألف مادة وقعت في عشرين مجلدًا، ولا زال القاموس لا غنى عنه لكل باحث في العربية صغيرا أو كبيرا، مبتدئا أو ضالعًا [٢٧].

ويحار المرء ويصيبه الذهول عندما يعلم أن ابن منظور كان كاتبا للإنشاء، وتباينت الأقاويل حول رئاسته له، فهناك من يؤكد وآخر ينفي، ولكن الموثوق منه هو أنه كاتب إنشاء الديوان المصري بالعصر المملوكي، وتلك وظيفة تلتهم الوقت التهاما، ومع ذلك، لم يكتف بمساهمته في نهضة الإنشاء، بل أراد ما هو أشمل وأعم، وبالأصح أبقى، فقد أنهض الساكن وحرك الراكد، فنجده يختصر كتاب الحيوان للجاحظ، وتاريخ دمشق لابن عساكر، والذخيرة في محاسن الجزيرة لابن بسام، والأغاني للأصفهاني، ومن الغريب أن مختصراته أوضح وأجلّ من مصادرها الأصلية، ومعها تعظم الاستفادة، وهو ما

يدل على أننا أمام رئيس ديوان إنشاء دفع الحياة الثقافية والاجتماعية دفعا حميدا [٢٨].

٢- العلامة القاضي البارزي (٧٦٩-٨٢٣هـ / ١٣٦٧- ١٤٢١م):

هو العلامة القاضي ناصر الدين أبو المعالي محمد ابن القاضي كمال الدين محمد بن عز الدين بن عثمان بن كمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن هبة الله الجهني الحموي الشافعي، المعروف بابن البارزي. كاتب السر الشريف بالديار المصرية، وعظيم الدولة المؤيدية. نشأ في رعاية أخواله، وقام بحفظ القرآن الكريم، وكتاب الحاوي في الفقه، وتفقه بجماعة، وطلب العلم، وبرع في الأدب والعربية والفقه والإنشاء، وولي في قضاء حماة، ثم تولي كتابة سرها، بعد ذلك صحب الملك المؤيد في أيام نيابته بدمشق، ولازم خدمته، وتولى قضاء حلب في نيابة المؤيد عليها. ثم قبض عليه الملك الناصر، وحبسه ببرج الخيالة بقلعة دمشق. تميز بطلاقة اللسان، وحفظ الشعر، وحسن المحاضرة، والإقدام والتجري على الملوك، والمراجعة لهم فيما لا يعجبه، وهو مع ذلك قريب من خواطرهم لحسن تأدية ما يختاره. وبالإجمال فهو أفضل من رأيناه ممن تولى هذه الوظيفة[٢٩].

المبحث الثالث

التكوين الوظيفي في ديوان الإنشاء في العصر المملوكي

- المطلب الأول: آداب وشروط الالتحاق بديوان الإنشاء

اشتمل منصب كاتب الإنشاء على عددٍ من الشروط والآداب، لا يلتحق بالديوان إلا مَنْ حققها وتخلق بها وعمل، ويمكن تقسيمها إلى صفات معرفية، وصفات شخصية.

أولا: الصفات المعرفية:

١- الإلمام بأحكام الولايات وطريقة ترتيبها عند الإمامة، وتقليد الوزارة، والإمارة

على البلاد سواء الخاصة أو العامة [٣٠]، والإمارة على الجهاد التي تقع على ضربين: إما أن تكون مقصورة على سياسة الجيش وتدبير الحرب، وإما أن يفوض إلى الأمير في جميع أحكامها [٣١]، والولاية على الحروب، هي الحرب ضد المرتدين وأهل البغي والمحاربين للإسلام [٣٢]، وولاية القضاء والمظالم[٣٣]، وحفظ لنا التاريخ رؤساء إنشاء كانوا حُجة في مختلف العلوم، ناهيك عن براعتهم في الإنشاء وقوانينه؛ كسعيد بن أبي زكريا المعروف بـ (ابن المماتي) صاحب كتاب " قوانين الدواوين " أحد أهم التصانيف في شؤون الدواوين وقوانينها [٣٤].

٢- العلم بمواد الأحكام الشرعية، حيث إنه دائم التعرض إلى الفتيا والكتابة فيها؛ لذا كان من كُتاب الإنشاء من وصل إلى مرتبة الفقيه وصاحب الفتوى، ومنهم كاتب الديوان المملوكي العالم الفقيه: "علاء الدين أبو الحسن الحنفي " المعروف بـ" ابن العويرة "، صاحب المصنفات في علوم الفقه والشريعة[٣٥]، كما كان العارف بالله " كمال الدين أبو بكر بن نجم الدين الخضيري الشافعي المعروف بـ (أبي المناقب) (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) من كبار الفقهاء، ولازم التدريس والإفتاء؛ نظرا لغزارة علمه وتأليفه في الفقه والقراءات والحساب والنحو والتصريف والمعاني والبيان والمنطق، وله يد طولى في الإنشاء وكتب الخط...إلخ [٣٦].

٣- البلاغة والأدب، وهو شرط جوهري، ولا تواجد داخل ديوان الإنشاء المملوكي إلا لمَنَ امتلك من الأدب والبلاغة حظًّا موفورا، فأنَّى للكاتب افتقاد البلاغة والأدب، وهو لسان السلطان والمتحدث الرسمي للدولة، وأشهر كُتاب الإنشاء البلغاء الأدباء: ذو البلاغتين (الشعر والنثر): محمود بن إسماعيل بن حميد الدمياطي المعروف بـ (ابن قادوس)، وكذلك اشتهر بالبلاغة وسمو أدبه أبو الفضائل: الأثير بن بنان الكاتب (محمد بن محمد بن محمد)، اشتهر

بالإضافة إلى البلاغة والأدب بحُسن الخط وجودته، وكذلك مصنفاته: "كتاب تفسير القرآن المجيد "، وكتاب "المنظوم والمنثور" في مجلدين [٣٧].

٤- جودة الخط وإتقانه، فالخط الجميل يمنح للرسالة قيمة وهيبة، والعكس بالعكس صحيح، واشتهر الأثير بن بنان الكاتب بجودة الخط وكان علامة عليه [٣٨]، كما كان عماد الدين محمد بن هبة الله الشيرازي؛ أبرع كُتاب الإنشاء في جمال الخط وحُسنه، وبالأخص القلم المحقق وقلم النسخ، إلى الدرجة التي كان يُعطل فيها إصدار الرسالة من الديوان؛ لحين قدومه وترصيعها بجميل خطه وبراعته [٣٩].

٥- إجادة اللغات الأجنبية وخاصة الفارسية والرومية والمغولية والبربرية، وغيرها مما يحتاجه الديوان ومكاتبات السلطان (من وإلى)، وقد جعلها القلقشندي شرطا أساسيا ضمن شروط اختيار كاتب الإنشاء، ونشدانًا للكمال؛ فعلى الكاتب معرفة لغة الكتب الواردة إلى السلطان أو الأمير أو كبير من كبار رجالات الدولة، فعليه الإجابة عنها دون الاحتياج إلى ترجمان؛ فإنه أصون لأسرار المملكة، وبلوغ مقاصدها على الوجه الأبلغ والأكمل [٤٠].

ويسجل لنا ديوان الإنشاء المملوكي كُتابا أجادوا اللغات وبرعوا فيها، ومنهم: كاتب سر الديار المصرية " محمود الكلستاني " (ت ٨٠١هـ/١٣٩٩م) الذي أجاد اللغة التركية، وكان السلطان الظاهر سيف الدين برقوق (٧٤٠-٨٠١هـ/ ١٣٤٠-١٣٩٩م) دائما متطلعا إليه؛ ليترجم ما يأتي من مكاتبات ورسائل باللغة التركية [٤١]. كما اشتهر الكاتب شرف الدين أبو عبد الله محمد بن شريف بن شريف بن يوسف الزرعي بمعرفته للغات عدة [٤٢].

ثانيًا: الصفات الشخصية:

أن يكون معتدل القامة ليس بالطويل الفارع ولا بالقصير المُضحك، ما بين السمنة والنحافة، نظيفا طيب الرائحة، لديه حضور وقبول، ولا يرى إلا في

أبهى صوره، فهو صورة للدولة أمام الأعين الداخلية والخارجية معا [٤٣].

ويقدم لنا القلقشندي ملمحا على ما يكون أمام السلطان سواء بالملبس أو بالحديث، فيذكر ضرورة تنوع الملابس وتعددها، فلكل مناسبة ملابسها، ولكل حديث مقام، فإن حضر مع السلطان؛ ليكن التأدب حاضرا، ولا يرفع الكلفة بينه وبين السلطان، ويقدم له أسمى التبجيلات والاحترام، وعليه التزين بزي خاص، فلا يحضر بما يُرى به دوما بالديوان، وعليه تجنب مشابهة السلطان في ملابسه وأزيائه، فلا يتزيَّ بالفاقع للعين، أو الكئيب المحزن كارتداء السواد بالكلية، وعليه انتقاء ألفاظه في حضرة السلطان، ولا يعلو صوته بالضحك، فيكفيه الابتسام فحسب، وفي موقف يستدعيه، فإن آنس من السلطان لُطفا وحلما، كان بها وألا يكون الأمر في غير محله، وهو ما لا يصح أو يجوز في حضرة السلاطين والملوك[٤٤].

ويجب على كاتب الديوان الاعتناء الشديد بالنظافة الشخصية، وعليه التنظف والتعطر، وقطع الرائحة الكريهة من العرق وغيره، حتى لا تقع عين رئيسه على دنس في أثوابه، ولا يجد منه كريه الرائحة في حال دنوه منه، فعلى الكاتب مواصلة استعمال الطيب والبخور الفائق والتمضخ بالمسك؛ فإن الملوك ترى أن مَنْ أغفل تعهد نفسه كان لغيرها أشد إغفالا[٤٥].

ويشير القلقشندي أيضا إلى توافر صفة الإخلاص في كاتب الإنشاء، فالإخلاص قوام الأمر في المصاحبة، فإن من صحب سلطانا بعقيدة مدخولة في ولايته، مشوبة في محبته، لم ينتظم له ولا لسلطانه أمرٌ؛ لأن الضمائر المذوقة والنيات السقيمة، لا بد أن يصرح بما فيها ويظهر ما في دخيلتها، فلا صلاح بذمم سفاح، وعلى كاتب الإنشاء المخلص؛ إبداء النصح للسلطان، ولكن في إطار حرصه على أمور السلطنة وإخلاصه للسلطان ليس إلا؛ إذ عليه مطالعة السلطان بشؤون العامة والخاصة، دون إفراط في النصح وكثرة

المطالعة؛ فيجعل السلطان متوجسا من رعيته، ويدفعه لاتخاذ الخاطئ من القرار؛ فعلى كاتب الإنشاء وكاتب سره رسم صورة كاملة واضحة دون زيادة أو نقصان؛ يتمكن معها السلطان من اتخاذ القرارات المناسبة والملائمة (٤٦).

وعلى الكاتب التحلي بصفة العفاف وصون ما يتولاه للسلطان من أعمال، ويتصرف فيه من أشغاله، والتعفف عن المطاعم الذميمة، والمطاعم الوخيمة، والترفع عن المكاسب اللئيمة؛ فإن ذلك يجمع القُربة إلى الله تعالى والحظوة عند السلطان (٤٧).

وتأتي صفة كتمان السر في المقام الأول والأخير لكاتب الإنشاء خاصة، فهو المؤتمن على بواطن الدولة وأسرارها، وإذا لم يكن لديه تلك الصفة، فإن المملكة في خطر محدق وداهم، فمن لا يرى توافر تلك الصفة في شخصه، فلا يقترب من الديوان البتة، فإن للسلطان أسرارًا وبواطن أمور سواء في سياسته الداخلية أو الخارجية، ويزيد الأمر خطورة في أوقات الحروب والثورات والمنازعات؛ فإنه مَنْ لم يكن لديه صفة الكتمان، فعليه الإيمان بأن الإنشاء ليس وظيفته، وإن عاند وعمل به، فإن هلكته مؤكدة ولا يحتاج الأمر سوى الوقت والزمن (٤٨).

وقدم لنا القلقشندي في موسوعته " صُبح الأعشى" صفوة القول والجُماع الفصل فيما ينبغي أن يكون عليه كاتب الدواوين، وأخصها ديوان الإنشاء، حيث قال:

"ليس أحد أحوج إلى اجتماع خِلال الخير المحمودة، وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم أيها الكُتاب، فهو الحليم في موضع الحِلم، والفهيم في موضع الفَهْم، والمقدام في موضع الإقدام.... كتوما للأسرار.... بلوغ حد الكفاية في النظر لكل فن وعلم... فتنافسوا يا معشر الكُتاب(٤٩)"..... {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} (٥٠).

وينتهي الباحث إلى أن عمل المرء في ديوان الإنشاء؛ يمثل دلالة على نبوغه وبراعته الأدبية، حيث لا يعمل في هذا الديوان إلا أقطاب الأدب وفرسان البيان، وأرباب البلاغة، إذ لا بد من توافر معارف واسعة لأصحابه، يستطيعون بها الوقوف على شؤون الحكم والسياسة الداخلية والخارجية، وسير العلاقات الدبلوماسية بين السلطان وباقي الأمم، فديوان الإنشاء المصري في أيام الدولة المملوكية، له تاريخ حافل، وأهميَّةٌ خاصَّةٌ في هذا العصر، وكان على المرشَّح للعمل فيه أن يكون من أقطاب النثر والبلاغة، الذين تُؤهِّلهم معارفهم الواسعة للوقوف على شؤون الحكم والسياسة الداخلية والخارجية، كما كان على كاتب الإنشاء أن يتحلَّى بمجموعةٍ من الصفات الشخصية اللازمة له: كفصاحة اللفظ، وطلاقة اللسان، وإيثار الجد على الهزل، وتوقُّد الفهم وحسن الإصغاء، كما تطلَّبوا فيه كتمان السر؛ الأمر الذي يُؤكد القلقشندي مدى خطورته، ويراه ضرورةً لا غنى عنها لمن يشغل وظيفة كاتب السر أو كاتب الإنشاء.

المطلب الثاني: المهام والوظائف والأعمال داخل ديوان الإنشاء

تضمن ديوان الإنشاء المملوكي مجموعة من الوظائف والمهام، تُسيِّر آلية العمل الإداري للدولة، وتدفع كافة القطاعات سواء الاجتماعية أو السياسية والاقتصادية إلى التلاحم فيما بينها بواسطة الديوان؛ فيتمخض عن هذا مكون حضاري للمجتمع المصري، تجلت أوج صوره مع تميز الإنشاء وتفرده، ومن تلك الوظائف والمهام، ما يلى:

أ- **كاتب السر**: ووظيفته قراءة الكتب الواردة على السلطان، وأخذ خط السلطان عليها وتسفيرها، والجلوس بدار العدل؛ بُغية قراءة القصص (الطلبات والاستعدادات)، والتوقيع عليها، ومشاركة الوزير في بعض الأمور مع التحدث بشأن البريد وأدائه، ومشاركة (الدوادار) في أغلب الأمور السلطانية[٥١].

ويعد كاتب السر (رئيس ديوان الإنشاء) أعلى المناصب في الجهاز

الإداري للدولة وأهمها لدى السلطان؛ لذا فهو أول مَنْ يدخل على السلطان وآخر الخارجين، ولا غنى للسلطان عن مفاوضته في آرائه، والإفضاء إليه بمهماته، وتقريبه من نفسه آناء الليل وأطراف النهار، وأوقات ظهوره للعامة وخلواته، واطلاعه على حوادث دولته، ومهمات مملكته، فهو عنده محل الثقة المطلقة، ولا يثق في أحد إلا هو، ومعه أسرار السلطان وخفاياه، مخططاته الحاضرة والقادمة، وهو الأداة المزدوجة (الترهيب والترغيب)، التي يلوح بكليهما للرعية حين الحاجة والطلب. ووفق كلامه ورأيه؛ يُعمر السلطان البلاد، ويسوس الأجناد، فهو عينه الساهرة التي تبصر بألف عين وعين [٥٢].

وظهرت تسمية (كاتب السر) في أوائل العصر المملوكي البحري (٦٤٨-٧٨٤هـ/ ١٢٥٠-١٣٨٢م)، حيث كان يتولى رئاسة ديوان الإنشاء كاتب يعبر عنه تارة بـ (كاتب الدست)، وتارة بـ (كاتب الدرج)، حتى أتى عصر السلطان المنصور قلاوون (٦١٨-٦٦٩ /١٢٢٢-١٢٩٠م)، وفيه استحدث لقب (كاتب السر)، وكانت وظيفة كاتب السر في عهد المماليك من أعظم الوظائف الديوانية، وأرفعها شأنًا ومقامًا، وكان يُلقب صاحبها بـ (الجناب الكريم)، ولا يتولى هذا المنصب إلا خاصة الخاصة، وصفوة الصفوة [٥٣].

ومن المهام الجديدة التي كلف بها المماليك رئيس ديوان الإنشاء؛ أمر العيون والجواسيس، وأوضح لنا القلقشندي ذلك بقوله: "وهو جزء عظيم من أسِّ الملك وعماد المملكة، وعلى صاحب ديوان الإنشاء مداره، وإليه رجوع تدبيره، واختيار رجاله وتصريفهم، فيجب عليه الاحتياط في أمر الجواسيس أكثر مما يحتاط في أمر البريدية والرسل؛ لأن الرسول قد يتوجه إلى العدو وغيره، والجاسوس لا يتوجه إلى العدو، وإذا وثق بجاسوسه فإنه إلى ما يأتي به صائر، وعليه معتمد، وبه فاعل"[٥٤].

ولعب الإنشاء دورا خطيرا، وهو معرفة العمليات العسكرية قبل وقوعها ضد الدولة عن طريق جواسيس الإنشاء وتراجمته، ومثال ذلك أن ملك الحبشة

(إسحاق بن أرعد) الملقب بـ (الحطي) (ت ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م) قد كاتب ملوك الإفرنج داعيًا لهم إلى غزو الدولة المملوكية، ونسَّق معهم الخطة الحربية المناسبة، وذلك بقدومهم بحراً من الشمال، وهجومه برًّا من الجنوب، ولكن كشف جواسيس ديوان إنشاء الدولة المملوكية عن ذاك المخطط؛ فألقت السلطات المملوكية القبض على حَمَلة رسائل ملك الحبشة إلى الأوروبيين (٥٥)، ودُفِع عن البلاد شرٌّ مستطيرٌ، وإن لم يكن للإنشاء دور سوى هذا لكفاه ووفى.

ومما أضيف إلى مهام رئيس ديوان الإنشاء؛ النظر في أمر الفداوية أو المجاهدين، وهم جماعة من الإسماعيلية الذين يستوطنون عددًا من القلاع المحصنة بين حماة وحمص، وكانوا يقومون باغتيال خصوم الدولة، أو الفارين منها، إن دعت الحاجة إلى ذلك (٥٦).

ب- نائب كاتب السر: دفع انشغال رئيس الديوان (كاتب سره)، وحضوره الدائم لجلسات السلطان إلى اختيار نائب له سُمي أحيانا (متولي ديوان الإنشاء)، وكان النائب يقوم بأعمال ومهام كبيرة في إنشاء دولة المماليك، إذ يقوم بقراءة الكتب الواردة إلى الديوان، والرد عليها، وتذييلها بتوقيعه في حال انشغال كاتب السر عن أداء مهامه؛ بسبب حضور اجتماعات المجلس السلطاني أو غيرها من الأسباب، كما كان مشرفا على كُتاب الديوان، ويقوم بتوزيع الاختصاصات والمهام على كاتب كاتب، ويشرف كذلك على كل ما هو متعلق بالكتابة والإنشاء من أدوات ومعدات، فهو يعلم كل شاردة وواردة من أمر الديوان وشؤونه (٥٧).

ج- **كُتاب الدست:** هم مجموعة من الكُتاب كانوا يجلسون مع كاتب السر في مجلس السلطان بدار العدل، وكانت مهمتهم الإدارية تقوم على قراءة القصص، والمظالم، والشكاوى، والمكاتبات بعد اطلاع كاتب السر عليها، وكانت طريقتهم في فض المكاتبات؛ قراءتها وفق ترتيب الجلوس، وكانوا يوقعون على القصص

بعد توقيع كاتب السر عليها، وكان عددهم ثلاثة كتبة زمن الظاهر بيبرس(٦١٩-٦٧٥هـ/١٢٢٣-١٢٧٧م)، ثم أخذوا في الازدياد مع اتساع حدود الدولة المملوكية، فأصبحوا عشرة كتبة زمن السلطان الأشرف خليل بن قلاوون (٦٦٦- ٦٩٣هـ/ ١٢٦٧-١٢٩٣م)، وعشرين فيما هو لاحق [٥٨].

د- كُتاب الدُرج: وظيفتهم كتابة ما يوقع به (كاتب السر) أو (كُتاب الدست)، أو إشارة نائب السلطنة، أو الوزير، أو رسالة الدوادار، ونحو ذلك من المكاتبات، والتقاليد، والتواقيع، والمناشير، ونحو ذلك [٥٩].

وترجع تسميتهم بالدرج؛ لوضعهم المكاتبات ونحوها في أدراج الورق، وهو الورق المستطيل المركب من عدة أوصال، وتقل صلاحياتهم عن كتاب الدست؛ بحيث لا يوقعون، وليس لهم إبداء الرأي والمشورة فيما هو أمامهم من مكاتبات، فقد كانت مهمتهم نسخ العهود للخلفاء والسلاطين على النهج الواضح، والأسلوب المبني، والتقاليد لقضاة القضاة (أهل الحلِّ والعقد)، فيما يليق بكل منهم من براعة المطلع والختام الدالين على عظم المقصد والغاية [٦٠].

هـ - الدوادار: ممسك الدواة، ووظيفته اسمها (الدوادارية)، ومهمته حمل دواة السلطان أو الأمير، وإبلاغ الرسائل عنه، وتقديم القصص إليه، كما كان يشترك مع (الأمير جندار) [٦١]، و(كاتب السر)؛ في تقديم البريد خلال عصر المماليك البحرية بإشراف الدوادار [٦٢].

والدوادار هو رئيس أرشيف الديوان، وهو المسؤول عن تنظيم سجلات الديوان بصورة منظمة سلسة ودقيقة، ويقوم بحفظ هذه السجلات بطريقة تسهِّل عليه الرجوع إليها عند الحاجة، كما أنه مسؤول عن استلام جميع الكتب الواردة إلى الديوان وحفظها بعد كتابة الإجابة عنها؛ بهدف الرجوع إليها عند الحاجة [٦٣].

ويقع على كاهل الدوادار مهمة إصدار المراسيم السلطانية بعد استشارة السلطان، وختمها بختم المملكة أو السلطنة، وظل الدوادار يؤدي مهامه بنجاح وكفاءة حتى زمن السلطان الظاهر برقوق، غير أنه فيما بعد تدهورت الدواوين برمتها وأصابها الإهمال والضعف؛ نتيجة تكالب عدد من العوامل الاقتصادية والعسكرية؛ بحيث عجلت بطي صفحة المماليك من قبل كتاب التاريخ(٦٤).

و – حامل المئزرة: وهو الموظف المسؤول عن ترتيب الأوراق أو القصص بعد اعتمادها من السلطان، وكان يتبع طريقة خاصة في تنظيم الأوراق وترتيبها؛ حيث يستخدم أسلوب التنظيم والترتيب من الأكبر إلى الأصغر، وتُلَف هذه الأوراق، وتوضع في المئزرة، وتحمل إلى القصر، للعرض على السلطان بنفس الترتيب والتنظيم الذي انتهت إليه. ويلزم من حامل المئزرة؛ الخبرة بالألقاب والعلامات، وحجم الورق وأنواعه، ومن ثم توصية الدوادار بإحضار ما يلزم منها (٦٥).

ز – المدار: هم جماعة من الموظفين سموا بذلك؛ لدورانهم على بيوت الكُتاب؛ للقيام بإحصاء ما عندهم من المكاتبات المتعلقة بالديوان(٦٦).

وهكذا يتبين للباحث أن ديوان الإنشاء المصري في عهد المماليك، كان ذا قواعد وآليات؛ كان على الجميع التزامها؛ لتحقيق المرجو من تأسيس الدواوين، وهو ضبط الجهاز الإداري وتفعيل إسهامه في التطور العسكري والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وما إلى ذلك مما يكفل إقامة دولة قوية لا يخترقها الأعداء؛ لاشتمالها على جهاز إداري صلد ومتين.

الخاتمة

توصلت الدراسة من خلال العرض السابق إلى مرحلة الخاتمة، واتضح لنا بعد المباحث الثلاثة والمطالب الستة، أننا لسنا بصدد كتاب في عالم الكتابة والإنشاء، بل نحن أمام سجل كامل متكامل عن الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية لمصر خلال العصر المملوكي، الذي قارب الثلاثمائة عام؛ كان حاكمًا ومسيطرًا على تلك البلاد، له من المحاسن والإيجابيات ما لا يُخفى على كل فطين لبيب؛ وقد تبينها البحث أثناء استعراض المكانة الإدارية والحضارية لديوان الإنشاء في العصر المملوكي من خلال كتاب صُبح الأعشى في صناعة الإنشاء لـ "أبى العباس القلقشندي ٧٥٦-٨٢١هـ/ ١٣٥٥-١٤١٨م، الذي أسدى إلى الثقافة العربية والإسلامية؛ معروفا وجميلا بموسوعته تلك، والتي ردت الجميل بذكر اسمه ومطالعة موسوعته حتى كتابة تلك السطور، وحتى خط نهاية الإنسان على تلك المعمورة.

وقدم لنا البحث بعد التطواف؛ بحثا عن سيرة القلقشندي الحياتية والعلمية، ومنهجيته العلمية في تصنيفه وتأليفه، ودور ديوان الإنشاء في التطور الاجتماعي والسياسي والعسكري للبلاد المصرية في العهد المملوكي، ومعرفة رؤساء هذا الجهاز الإداري الخطير، الذي تطلب لأداء مهامه، نوعية خاصة من الكُتاب، وخاصة الخاصة من بني الإنسان، وهو ما هدانا إلى تلك النتائج والتوصيات، على هذا النحو:

- أولا: النتائج:

١- موسوعية القلقشندي وأصالة ثقافته، فمطالعة موسوعة "صبح الأعشى" وسائر مؤلفاته؛ تدلنا على أننا أمام عالم صبور ذي ثقافة واسعة ناقدة.

٢- ديوان الإنشاء هو أهم ديوان أو مؤسسة حكومية في الجهاز الإداري المملوكي، وهو المتحدث الرسمي عن السلطان والسلطنة؛ وهنا تكمن أهمية البحث في دور الديوان على كافة المستويات الحياتية.

٣- لعب ديوان الإنشاء أدوارا جديدة – لم تكن من قبل – في العصر المملوكي، ويكفي القول بإنه كان جهاز المخابرات المملوكي الذي كانت تقاريره حافظة لمكتسبات الدولة المملوكية وحامية لها من المناوئين والمعارضين لفترة طويلة.

٤- ديوان الإنشاء ليس بمكان يجتمع فيه الكتبة؛ يصدرون مكاتبات وأشباهها، بل هو ووثائقه؛ تأريخ صادق للحياة في مصر خلال العصر المملوكي، وهو ما لا نجده إلا في الإنشاء وعالمه.

٥- يعكس ضعف أو قوة الديوان؛ حالة الدولة من القوة والضعف؛ نظرا لأنه المقياس الحقيقي لتلك القوة؛ لأنه يمسك بيده كافة الخيوط مهما تكاثرت أو تنوعت.

- ثانيا: التوصيات:

لا ريب أن النقصان شيمة أي عمل يصدر عن بني الإنسان؛ لذا فالبحث لم يوف بكافة أدوار الديوان ومهامه التي أبرزتها موسوعة القلقشندي "صُبح الأعشى"؛ وهو ما دفعني إلى طرح مقترح عدد من العناوين؛ تسد نقصا أو تستر عيبا، ومنها:

١- علم الاجتماع عند أبي العباس القلقشندي (المجتمع المصري المملوكي نموذجا).

٢- مخابرات الإنشاء ودورها في الذود عن الدولة المملوكية.

٣- أدوار ديوان الإنشاء في الحفاظ على المملكة وحمايتها.

٤- مكاتبات القلقشندي في ديوان الإنشاء (دراسة تحليلية).

٥- الآثار الثقافية والحضارية لرؤساء الإنشاء وكُتابه في الثقافة العربية والإسلامية.

الهوامش

(١) ابن تغري بردي، (٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: شمس الدين محمد حسين، ط١، ج١٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ص٢٨٨.

(٢) بنو بدر: إحدى بطون قبيلة فزارة، وهم بنو بدر بن عدي بن فزارة، كانت لهم الرياسة في الجاهلية، ومن رجالهم "حذيفة بن بدر بن عمرو بن جؤية بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة" صاحب الفرس "الغبراء"، التي كانت بصحبة الفرس "داحس" فرس قيس بن زهير العبسى؛ سببا لحرب العرب الشهيرة في زمن الجاهلية "داحس والغبراء". وقد استمرت الرياسة وأصالة نسب فزارة حتى عصر القلقشندي. ينظر: أبو العباس القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، ص١١٣-١١٤.

(٣) أبو العباس القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ص ٣٥٦.

(٤) عبد اللطيف حمزة، القلقشندي في كتابه صبح الأعشى (عرض وتحليل)، ط١، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والثقافة والنشر، مصر ١٩٦١م، ص٣٩.

(٥) أبو العباس أحمد القلقشندي، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م، ص١٤٠.

(٦) القلقشندي، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١، مرجع سابق، ص ١٤١-١٤٥.

(٧) الشيخ ابن الملقن (٧٢٣-٨٠٤هـ /١٣٢٣-١٤٠١م): هو الإمام عمر بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سراج الدين أبو حفص الأنصاري الوادي آشي الأندلسي التكروري المصري الشافعي، وعُرف بابن النَّحْوِيّ، لأن أباه كان نَحْويا، ولكن غلبة شهرته بـ " ابن الملقن "؛ لأن أباه قبل وفاته، أوصى به إلى صديقه الشيخ عيسى المغربي، الذي كان يُلقن القرآن بجامع ابن طولون؛ ونظرا لأن الشيخ عيسى المغربي تزوج من أمه بعد وفاة والده؛ فسُمى بـ ابن الملقن. ويعد أحد أكابر علماء الحديث والفقه والتاريخ. ترجع أصوله إلى الأندلس، وقدم به أبوه منها إلى تكرور (قبيلة من السودان في أقصى جنوب المغرب)، ومنها إلى القاهرة التي ولد بها شيخنا " ابن الملقن "، وبها

لقي ربه. نشأ يتيما، وتكفل به زوج أمه وصديق أبيه الشيخ عيسى المغربي الذي كان له أبلغ الأثر في توجيهه للعلم والعلماء. تلقى الشيخ العلم على يد مجموعة من أفاضل المشايخ في عصره، أشهرهم: عبد الرحيم الإسنوي، وابن هشام، وتقي الدين السبكي. وأصبح له لاحقا تلاميذ نجباء منهم: القلقشندي، والمقريزي، والعسقلاني، والدميري. ينظر: سراج الدين أبي حفص الأنصاري الشافعي ابن الملقن، (٧٢٣- ٨٠٤هـ): التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ط١، المجلد الأول، تحقيق: خالد محمود الرباط؛ جمعة فتحي عبد الحليم، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص١٩٥-٢٠٥.

(٨) القلقشندي، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١٤، مرجع سابق، ص١٦.

(٩) ابن تغري، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١٤، مرجع سابق، ص١٥٠.

(١٠) ديوان الأحباس: الأحباس في اللغة هي: الأوقاف، وفى الاصطلاح الفقهي: حبس أصل المال، كالأرض والبستان، وصرف منافعه في سبيل الله. ومع تطور الحياة في الدولة الإسلامية وكثرة الأحباس (الأوقاف) التي كان يتبرع بها بعض الأغنياء وذوي السلطان من الأرض وغيرها، أشرفت الدولة على ديوان الأحباس، وعينت عليه قاضيًا، يشرف على ما وقف المساجد والخوانق والمدارس. وفي عصر المماليك أصبح مصطلح الأحباس يُطلق على الأرض التي تحبس وقفًا على المساجد والخوانق والمدارس وغيرها من المؤسسات الخيرية. ينظر: محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ١٤١.

(١١) الدرج الشريف: كُتاب الدرج هم الذين يكتبون ما يوقع به كاتب السر، أو كاتب الدست (كاتب الديون الرئيسي)، أو إشارة النائب، أو الوزير، ونحو ذلك من مكاتبات. ينظر: البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، مرجع سابق، ص ٢٨١.

(١٢) القلقشندي، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١١، مرجع سابق، ص١٣٣-١٣٤.

(١٣) القلقشندي، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٤، مرجع سابق، ص١٨٠.

(١٤) القلقشندي، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١١، مرجع سابق، ص١١٤.

(١٥) فرانز روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: أحمد صالح العلى، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٢٤٢.

(١٦) القلقشندي، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١، مرجع سابق، ص١٧٣.

(١٧) السيد الباز العريني، المماليك، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ٢٥٨.
(١٨) محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، دار النفائس، بيروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ص٢٩٠.
(١٩) تقى الدين أحمد بن علي المقريزى، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بـ (الخطط المقريزية)، ج٢، تحقيق: محمد زينهم؛ مديحة الشرقاوي، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ص٢٢٦.
(٢٠) القلقشندي، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٨، مرجع سابق، ص ٢٤٨.
(٢١) المثال: أمر دون الفرمان والمنشور، وكان المثال في العصر المملوكي أمرًا يصدر عن ديوان الجيش بمنح إقطاع، أو تحويله، أو إعادته، أو زيادته. ينظر: محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكى، ط١، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، ص١٣٥.
(٢٢) القلقشندي، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٦، مرجع سابق، ص ١٥٤.
(٢٣) القلقشندي، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١، مرجع سابق، ص٣٩.
(٢٤) القلقشندي، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١، مرجع سابق، ص ٩٣.
(٢٥) مصطفى الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء العرب،ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤١١هـ- ١٩٩١م، ص٧٤٢-٧٤٣.
(٢٦) الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص ٧٤٤.
(٢٧) الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص ٧٣٧.
(٢٨) الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص ٧٣٧-٧٣٨.
(٢٩) ابن تغري، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٤، مرجع سابق، ص ٤٦٦.
(٣٠) أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، ج ١، دار ابن قتيبة، الكويت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ص٦٢.
(٣١) الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ج ١، مرجع سابق، ص٦٩.
(٣٢) الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ج ١، مرجع سابق، ص٩٤.
(٣٣) الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ج ١، مرجع سابق، ص٣٠.

(٣٤) خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، الأعلام، ط١٥، ج١، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م، ص٢٩٩.

(٣٥) ابن تغرى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١، مرجع سابقن ص ٢٩٠.

(٣٦) أبو صلاح عبد الحى الحنبلي، (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط٢، ج٧، دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، ص٢٨٤- ٢٨٥.

(٣٧) صلاح الدين خليل بن آيبك الصفدي، (٦٩٦-٧٦٤هـ/ ١٢٩٦-١٣٦٣م) الوافي بالوفيات، ج١، دار نشر فرانز شتاينر، مدينة فيسبادن ألمانيا الغربية، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٣م، ص ٢٨١.

(٣٨) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١، مرجع سابق، ص٢٨١.

(٣٩) ابن تغري، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، مرجع سابق، ص ٣٥٩.

(٤٠) القلقشندي، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١، مرجع سابق، ص١٦٦.

(٤١) الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٧، مرجع سابق، ص١٢.

(٤٢) تقى الدين أبى العباس أحمد بن على بن عبد القادر العبيدي المقريزي، (ت ٨٤٥هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، ط١، ج٢، تحقيق: محمد محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص١١٣.

(٤٣) القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ج٧، مرجع سابق، ص١٤.

(٤٤) القلقشندي، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١، مرجع سابق، ص٧٤-٧٥.

(٤٥) القلقشندي، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١، مرجع سابق، ص٨٠.

(٤٦) القلقشندي، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١، مرجع سابق، ص٧٥.

(٤٧) القلقشندي، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١، مرجع سابق، ص٧١.

(٤٨) القلقشندي، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١، مرجع سابق، ص٧٥.

(٤٩) القلقشندي، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١، مرجع سابق، ص٨٥-٨٦.

(٥٠) القرآن الكريم، سورة المطففين، الآية ٢٦.

(٥١) دهمان، معجم الألفاظ، مرجع سابق، ص ١٢٧ ١٢٨.

(٥٢) القلقشندي، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١، مرجع سابق، ص١٠١-١٠٢.

(٥٣) القلقشندي، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١، مرجع سابق، ص١٠١.

(٥٤) القلقشندي، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١، مرجع سابق، ص١٢٣.

(٥٥) شافع بن على ابن عباس، حُسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق: عبد العزيز بن عبدالله الخويطر، ط٢، د. ن، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص٢٨٤.

(٥٦) القلقشندي، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١، مرجع سابق، ص ١١٩-١٢٢.

(٥٧) القلقشندي، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١١، مرجع سابق، ص٣٣٣.

(٥٨) القلقشندي، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١٣، مرجع سابق، ص١٥٧.

(٥٩) القلقشندي، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١، مرجع سابق، ص١٣٨.

(٦٠) الظاهري غرس الدين خليل ابن شاهين، (٨١٣-٨٧٣هـ/ ١٤١٠-١٤٦٨م)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م، ص١٠٠.

(٦١) الأمير جندار: موظف يقوم بمهمة الحاجب في القصر، ويدير أمر حراسته والإشراف على السجن من المعتقلين من الأمراء وأصحاب الرتب،، ويشترك مع الدوادار، وكاتب السر في تقديم البريد. ينظر: شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج١، ط١، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ، ص ١١٧-١١٨.

(٦٢) آلاء حماد رجه، كاتب السر في الدولة المملوكية (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، العراق، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ٥٣.

(٦٣) رجه، كاتب السر في الدولة المملوكية، مرجع سابق، ص٥٤.

(٦٤) رجه، كاتب السر في الدولة المملوكية، مرجع سابق، ص٥٥.

(٦٥) رجه، كاتب السر في الدولة المملوكية، مرجع سابق، ص٥٥.

(٦٦) رجه، كاتب السر في الدولة المملوكية، مرجع سابق، ص٥٥.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- القرآن الكريم.

- الأحاديث النبوية.

١- ابن تغري بردي، (٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: شمس الدين محمد حسين، ط١، ج١٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

٢- ابن حجر العسقلاني، (٨٥٢هـ / ١٤٤٩م)، إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، ط١، ج٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.

٣- أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، ج ١، دار ابن قتيبة، الكويت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

٤- أبو صلاح عبد الحي الحنبلي، (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط٢، ج٧، دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٥- أبو العباس القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٦- أبو العباس القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٧- أبو العباس أحمد القلقشندي، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م.

٨- تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي، (ت ٨٤٥هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، ط١، ج٢، تحقيق: محمد محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٩- تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بـ (الخطط المقريزية)، ج٢، تحقيق: محمد زينهم؛ مديحة الشرقاوي، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١٠- خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، الأعلام، ط١٥، ج٢، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.

١١- سراج الدين أبو حفص الأنصاري الشافعي ابن الملقن، (٧٢٣- ٨٠٤هـ): التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ط١، المجلد الأول، تحقيق: خالد محمود الرباط؛ جمعة فتحي عبد الحليم، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

١٢- شافع بن علي ابن عباس، حُسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله الخويطر، ط٢، د. ن، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

١٣- شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج١، ط١، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ.

١٤- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، (٦٩٦-٧٦٤هـ/ ١٢٩٦-١٣٦٣م) الوافي بالوفيات، ج١، دار نشر فرانز شتاينر، مدينة فيسبادن ألمانيا الغربية، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٣م.

١٥- الظاهري غرس الدين خليل ابن شاهين، (٨١٣-٨٧٣هـ/ ١٤١٠-١٤٦٨م)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م.

ثانيًا: المراجع:

١- آلاء حماد رجه، كاتب السر في الدولة المملوكية (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، العراق، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م

٢- السيد الباز العريني، المماليك، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

٣- عبد اللطيف حمزة، القلقشندي في كتابه صبح الأعشى (عرض وتحليل)، ط١، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والثقافة والنشر، مصر ١٩٦١م.

٤- فرانز روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: أحمد صالح العلى، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٥- محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط١، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٦- محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، دار النفائس، بيروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٧- محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣م.

٨- مصطفى الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء العرب، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.